القرآن والتوراة

أين يتفقان

و

أين يفترقان ؟

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

1420 هـ / 2000 م

دار قتيبة

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت – ص.ب: 14/6364

دمشق ص.ب: 13414

مقارنة الأديان
١

القرآن والتوراة

أين يتفقان
و
أين يفترقان ؟

الجزء الثاني

حسن الباش

دار قتيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

درجت كلمة عقيدة على ألسنة الشعوب منذ زمن بعيد، واتخذت لدى الديانات الكتابية مسارا محددا، حتى أصبح يطلق على اليهودية والمسيحية والإسلام مصطلح عقيدة. وفي الإسلام اتسمت بقضايا الإيمان الواسعة، الصغرى والكبرى. وقد فهم المسلمون مباحث العقيدة، على أنها ترتبط بالتوحيد أولا، والمعاد، والجزاء والعقاب واليوم الآخر، وقد وصلت بحوثهم قمتها زمن الجدال الفكري، والاجتهاد الفلسفي، أيام المأمون في العصر العباسي، فتوسعت هذه المفاهيم وتفلسفت.

وكان لعلم الكلام دوره المهم في تطوير مفاهيم العقيدة ومصطلحاتها، ولا نبالغ إذ نقول: إن بحوث العقيدة في الإسلام هي من أكثر البحوث دقة وتعقيداً وتفلسفاً.

وقد اهتمت الدراسات الإسلامية الأكاديمية ببحوث العقيدة اهتماماً بالغاً، كونها تعتبر الأساس الديني في الإسلام.

لقد درج الباحثون منذ زمن بعيد أيضاً على إضفاء مصطلح عقيدة وعقائد، على ديانات الشعوب والأمم، وتداخلت بحوثهم مع علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) بجانبه الفكري والثقافي والديني. وبرز كثير من العلماء والباحثين في تناول هذه الدراسات، أمثال إدوارد تايلور. وأميل دوركهايم. وجيمس فرايزر. وغيرهم.

وصفوا عقائد الشعوب المتعددة، خاصة تلك التي تعيش في نظام قبلي متخلف عن الحضارة الحالية، وخاصة شعوب بعض مناطق أفريقيا، وأستراليا.

ومع هذه الدراسات التي اختلطت فيها العقائد بالعادات والتقاليد والمعتقدات السحرية، برزت دراسات على مساحات واسعة من العالم الغربي، تناولت العقائد الكبرى بالبحث وأنتجت عدداً لا يحصى من الكتب، ولاسيما تلك التي تتناول ما يسمى الكتاب المقدس، بشقيه العهد القديم، والعهد الجديد، وما يرتبط بهما من عقيدتي اليهودية والمسيحية. لكن المفكرين، وبدءاً من نهاية العصر الأموي، أولوا مسألة العقيدة عناية فائقة، وما إن بلغت الحضارة العربية الإسلامية، أوجها، زمن الرشيد والمأمون، حتى أصبح علم العقيدة من أخطر العلوم الدينية، وبرز المعتزلة كأهم فرقة كلامية تحدثت بالعقيدة، وكذا الأمر بالنسبة للأشعرية، والمرجئة، والقدرية، والماتردية، والظاهرية.

ولما كان المسلمون الأوائل في المدينة المنورة، على احتكاك مباشر باليهود، وهم أصحاب عقيدة معروفة، برز جدل لم يتوقف بين المسلمين واليهود، وتناول جدلهم العقيدة في أدق تفاصيلها. واستمر الاهتمام بهذا الجدل، حتى برزت مناقشات ومناظرات بحضور الخلفاء، بين منظري الفكر

الإسلامي، وكبار الربانيين اليهود وغيرهم وتبع ذلك بروز كتب كثيرة، تناولت مفاهيم العقيدة اليهودية، ومقارنتها بما جاءت به العقيدة الإسلامية، من مفاهيم عقيدية.

ولعل من أهم الأسباب التي أججت الجدل والحوار، كون اليهودية تمتلك كتاباً يسمى التوراة وهو من أقدم الكتب الدينية التاريخية، التي تتناول في أسفارها ذات الله، وصفاته، وعالم الغيبيات الأخرى كالملائكة، والجن، والبعث، والموت واليوم الآخر، وما إلى ذلك. وكون القرآن الكريم كتاباً سماوياً فقد حفل بمسألة الخلق والبعث، والدنيا والآخرة، ومواضيع أخرى، تقع في صلب العقيدة.

وبمعنى آخر فقد ارتبطت مفاهيم العقيدة بالكتب السماوية بالدرجة الأولى. القرآن، والتوراة والإنجيل. وباعتبار التوراة ـ رغم تحريفها ـ مصدر التشريع، حتى بالنسبة للعقيدة النصرانية، فإن الاهتمام بدراسة ما جاء فيها من قضايا عقيدية، كان الأساس الذي بنيت عليه الدراسات والبحوث المخصصة لقضايا العقيدة في الإسلام وكل من اليهودية والنصرانية.

لقد وقف العلماء والمفكرون المسلمون من التوراة واليهودية، موقفاً واضحاً عبر التاريخ. هذا الموقف يتجلى في نقد التوراة ونقد اليهودية. وما كان يتسنى لهم ذلك، لولا وجود القرآن الكريم، الذي لم يترك شاردة أو واردة في العقيدة اليهودية بشتى نواحيها، وبيّن ما جاء به النبي موسى عليه السلام، وما زيد عليه أو حرّف فيه. ومما قوّى حجة هؤلاء العلماء في الرد على الأفكار اليهودية، صحة قوة الحجج والبراهين القرآنية المتوافقة مع المنطق العلمي، والمنطق التاريخي، والمنطق الاجتماعي الإنساني، إضافة لكون التوراة خضعت في كتابتها وتدوينها لفترات زمنية طويلة ومتباعدة، ومن ثم اقتراب قضايا العقيدة التوراتية، من التركيبة الأسطورية، غير المتوافقة مع الفطرة الدينية

التوحيدية البشرية، والمنسجمة وثنياً مع الواقع التاريخي لأصحاب العقائد الوثنية الأسطورية في التاريخ القديم.

وقد ظهر لدى الدارسين التناقض في عقيدة اليهود، بعد أن دحض القرآن الكريم كثيراً من افتراءاتهم، وتحريفهم للعقيدة الموسوية الصحيحة، وهذا التناقض برز بشكل جلي في صفات الله، وعالم الغيبيات، حيث التجسيم والتشبيه، والقدرة الكلية المطلقة والأخرى النسبية. وكذلك الأمر بالنسبة لعمل الإله، وأعمال الملائكة والجن وإبليس، وما إلى ذلك.

لقد أثبت غالبية العلماء على شتى أجناسهم، عدم ثبات العقيدة اليهودية على الأسس المعروفة في العقائد السماوية، ولم يعتبروا ذلك التغيير أو التحول تطورا في الفكر العقيدي، إنما اعتبروه انحرافا، باعتباره يخص العقيدة وأسسها ولا يخص التشريع، والمعاملات والمفاهيم الاجتماعية، من علاقات مع البشر، ومع المخلوقات.

وحين ينظر الدارس في أسفار التوراة، سيرى أن أسس العقيدة تتغير وتتبدل بأسلوب انحرافي واضح، فما يرد في سفر التكوين نفسه مثلا يدلل بشكل مباشر على الانحراف والتعرج العقيدي. وكذا الأمر ينطبق على بقية أسفار التوراة. غير أن القرآن الكريم، حين يتحدث عن العقيدة لدى بني إسرائيل واليهودية، يشير مباشرة إلى طبيعة النفسية اليهودية، التي ترفض الثبات في العقيدة. فمنشأ العقيدة التي نادى بها موسى عليه السلام هو منشأ الوحدانية، وكذلك هي طبيعة العقيدة السماوية. لكن الملفت للنظر، أن اتباع النبي موسى عليه السلام، لم يكونوا اتباعه في العقيدة، على الرغم من أنه كان يدعو حثيثا إلى الثبات على العقيدة التي نادى بها. لقد كانوا أتباعا له في الرغبة في الهروب من الفراعنة. ولذلك نرى آيات القرآن الكريم تركز على مجريات

الأحداث، وعلاقتها بالعقيدة، بقدر ما يكونون على علاقة قوية أو ضعيفة بالخالق، وبقدر قربهم من الاستجابة لعقيدة موسى أو بعدهم عنها.

وفي كافة الأحوال، فقد أولى الباحثون والمهتمون بدراسة التوراة العقيدة اليهودية كثيرا من البحث والدراسة، حتى صار لدى القارئ مجموعة كبيرة من الكتب قد يختلف أسلوب المعالجة فيها، ولكنها تتفق جميعها في الأساسيات العقيدية والفروع في العقيدة اليهودية.

لقد سبق ورأينا بعض المفكرين العرب الذين صنفوا العقائد والديانات في العصور السابقة، قد تناولوا العقيدة اليهودية بأشكال مختلفة، وقد وصلتنا كتبهم، مما ساهم في زيادة معرفتنا للعقيدة اليهودية تحديدا.

صنَف في العقائد الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، وتحدث عن اليهودية وفرقها ومذاهبها. وكذلك صنَف في العقائد والفرق الخطيب البغدادي وذلك في كتابه الفَرْقُ بين الفِرَقْ. وتبع الاثنين الفيلسوف ابن حزم الأندلسي الظاهري، وذلك في كتابه المهم. الفصل بين الملل والأهواء والنحل، وقد غلب عليه الحس النقدي والتحليل أحيانا بخلاف ما جاء به الكتابان السابقان على الرغم مما يشوبه من تهكم وإسفاف أحيانا.

ولم تقتصر البحوث في العقائد ـ خاصة العقيدة التوراتية ـ على هذه الكتب، إنما تأتي أهمية ذكرها، بسبب شمولها للعقائد، وإظهار ما فيها من أجزاء عقيدية متعددة.

ويطالعنا العصر الحديث بعدد من الكتاب والباحثين الذين تناولوا اليهودية وذلك ضمن عدة مناهج واتجاهات. ولا نستطيع أن نحصر جميع ما كتب حولها، إنما يمكن الإشارة إلى كتاب العرب واليهود في التاريخ للدكتور احمد سوسة وإلى كتاب (الله) لعباس العقاد. وكتاب مقارنة الأديان لاحمد شلبي وكتاب اليهود في القرآن لعبد اللطيف طبارة. وكتاب التراث الإسرائيلي

للدكتور صابر طعمه، وكتاب نقد التوراة للدكتور حجازي السقا. وكتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي. وكتاب لمحمد عزة دروزة. وكتاب للمفكر الإسلامي الفرنسي رجا غارودي.

وهناك الكثير من الكتب التي تناولت العقيدة اليهودية، وكثير من المقالات والدراسات التي تبث في الصحف والمجلات، والتي تهتم بمثل هذه القضايا.

لقد ألقى الباحثون الأضواء على العقيدة اليهودية، غير أن الدراسات تشابهت في المضمون، وإن اختلفت في الشكل والأسلوب، وكانت جميعها لبناتٍ تعمّر فوق بعضها بعضاً لبناء رؤية واضحة، لما كانت عليه وما آلت إليه العقيدة اليهودية. وعلى الرغم مما أتى به من إيجابيات بحثية جادة، إلا أنه يحتاج دوماً لتسليط الضوء والكشف. وأعتقد أن علم مقارنة الأديان كفيل أن يدرس العقيدة اليهودية بشكل واعٍ، ومتكامل، خاصة إذا ما صدمت نصوص التوراة بنصوص القرآن الكريم نصاً بنص وفكرة بفكرة.

لقد احتج بعض الباحثين أمثال الدكتور شلبي بأن قضايا كثيرة موجودة في القرآن الكريم غير موجودة في التوراة، وكذلك العكس. وعلى هذا الافتراض، لا نستطيع أن نلجأ إلى مقارنة النص بالنص.

والواقع أن الافتراض هذا ليس صحيحا خاصة بالنسبة لمسائل العقيدة. فذات الله وصفاته موجودة في التوراة، كما هي موجودة في القرآن الكريم. وتطور مفهوم الخالق أو الإله وجد في التوراة. وكذلك أوضح القرآن الكريم تطور مفهوم المعبود عند اليهود وبني إسرائيل من قبلهم، في كافة السور والآيات التي تناولتهم منذ خروجهم من مصر ودخول سيناء، وحتى فترة الصراع الواضح بين اليهود والمسلمين في المدينة المنورة والجزيرة العربية.

وكما أكدت نصوص التوراة نظـرة البشـر إلى الله المجـرد والغيـبي تـارة، والمجسد والمجسم تارة أخرى، فقد أوضح القرآن الكريم تطـور نظرتـهم إلى الله المجرد الغيبي، والمجسد والمجسـم. وكمـا اختلـف كتبـة التـوراة، وفرقـهم في فهمهم لطبيعة الله وذاته، كذلك بين القرآن الكريـم، اختلافـهم في ذلـك الفـهم وذلك في كثير من السور.

وعندما يدوَّن في التوراة فهم اليهود لعالم الغيبيـات المتضمـن القـوى غـير المنظورة كالملائكة والجن، فإن القرآن الكريم يشير بشكل مكشوف لهذا الفـهم، بل إن آيات القرآن الكريم ردت على مزاعمهم، وتصوراتهم التي أضافوها علـى التوراة الأصلية حول ذلك العالم الغيبي.

وحينما يغفل التوراتيون الحديث عـن بعـض مـهمات الملائكـة تـبرز لنـا آيات القرآن الكريم لتكشف مـا أغفلـوه، ويدحـض مزاعمـهم، مـن خـلال قـرع الحجة بالحجة، ومن خلال تحريك العقل باتجاه المقبول عقلياً ومنطقياً.

ولما كان الانحراف اليهودي كلاً لا يتجـزأ فإنـهم دوَنـوا في توراتـهم مـا تصوروه حول الجن وعلاقته بالأنبياء والبشر بعامة وأولوه أهمية بالغـة، حتـى خلطوا عن قصد أو عدم إيمان بين مهماته ومهمات الله أو الملائكة، وقد اعتبروه قوة خارقة متجاهلين محدودية قوته أمام قوة الخالق الكلية المطلقة.

لقد نسبوا إلى إبليس مهمات، هـي في أساسـها مـهمات الله سـبحانه أو مهمات الملائكة. وفعلوا العكس أيضـاً، عندمـا ألصقـوا بـالله والملائكـة، أعمـالاً إبليسية تمثل الشر المطلق.

ولم يغفل القـرآن الكريـم عـن ذلـك، بـل بـين بـالتصريح مـا آلـت إليـه تصوراتهم في خلط أعمال الشر المتمثل بإبليس، وأعمال الخير المتمثل بذات الله.

وبسبب من الطبيعة البدوية القاسية التي فطر عليها اليهود، رأوا بأن الله خادم لهم لم ينفذ ما يرغبون، فوجدوا أن الله لا يصلح أن يكون رباً إلا إذا واجه أنبياءهم وجها لوجه، وواجههم شخصاً بشخص. وحين يواجههم - حسب نصوصهم - فإنه يصبح خاصاً لهم. يطلقون عليه اسم يهوه تارة، ورب الجنود تارة أخرى، يقاتل من يقاتلون، وإذا عاند مزاجهم غضبوا وتحولوا عنه ريثما يعود إلى هدوئه ويبرد حموَ غضبه.

وتسجل آيات القرآن الكريم هذه التطورات العقيدية في الديانة اليهودية، والتي لم تحدث في أي عقيدة أخرى.

لقد عرفت اليهودية عدداً كبيراً من الأنبياء، وخلط اليهود بين من هو نبي خاص ومن هو نبي عام. ونسبوا لهم أنبياء التوحيد الذين بدأهم النبي إبراهيم عليه السلام وانتهوا مع موت يوسف عليه السلام. لكنهم وعلى الرغم من هذا الانتساب المفتعل لم تكن عقولهم تطيق منهج هؤلاء الأنبياء، فألصقوا بهم الكثير من الصفات السلبية غير الأخلاقية، وشوهوا مفهوم النبوة، وحذفوه أحياناً عن بعض الأنبياء.

إبراهيم يحاول أن يتاجر بزوجته سارة لأنها جميلة، ولوط يزني بابنتيه بعد تدمير سدوم وعمّوره. وإسحق لا يعرف من يبارك من أولاده عيسو أم يعقوب، ويعقوب يجلب الأوثان من بيت خاله لابان. والأسباط يغدرون بأخيهم يوسف، ويكذبون على أبيهم. أما الأنبياء الآخرون كموسى وهارون وداود وسليمان، فإنهم يمنحون الأول نبوة وشريعة ويمنعونها عن داود وسليمان. أما هارون فيصنع العجل الذهبي ليعبده بنو إسرائيل في غياب موسى عليهم السلام جميعهم.

ويغدو مفهوم النبوة غامضاً مشوشاً ومشوهاً، بل يغدو مقتصراً على التنبؤ السحري كما حدث مع أنبيائهم أيام السبي البابلي، فلا عصمة للأنبياء. الذي

يرتكبونه فاحشة كبرى. ولم يدحض افتراءاتهم وتشويهاتهم لمفهوم النبوة والأنبياء، سوى آيات القرآن الكريم.

لقد أعادت هذه الآيات الكريمة الاعتبار للنبوة والأنبياء. هذا الاعتبار الذي قصد اليهود أن يلغوه إلغاء كلياً.

واستناداً على مقولة شعب الله المختار، فقد رأوا في أنفسهم مرتبة فوق النبوة وفوق الأنبياء. ويرون أحياناً أنفسهم فوق الإله ذاته، طالما يسير هذا الإله حسب رغبتهم وهواهم.

ويتضح الفارق واضحاً بين عقيدة الأنبياء في التوراة وعقيدتهم في القرآن الكريم ولعل مسألة التوحيد هي أهم ما في هذه العقيدة، لكن فلسفة الانحراف اليهودية لم تصل إلى مستوى فهم عقيدة التوحيد كما أقرها الله سبحانه وتعالى. وكما فهمها الأنبياء.

ولما كانت عقيدة التوحيد عقيدة جميع الأنبياء، فقد أنكر اليهود نبوة بعضهم ليفصلوا التسلسل التوحيدي، الذي أراده الله سبحانه لمسيرة العقيدة بين أنبيائه منذ النبي آدم عليه السلام وحتى محمد صلى الله عليه وسلم.

وعلى الرغم من أن الأنبياء ـ ولا سيما موسى وعيسى ويحيى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، قد بشروا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن اليهود الذين لا يروق لهم الاستقامة على التوحيد، رفضوا كل ما قاله الأنبياء بشأن النبي العالمي القادم محمد صلى الله عليه وسلم.

وحين بعث الله سبحانه عيسى بن مريم نبياً مصححاً لمسيرة الضلال اليهودي، تناقضت مصالح اليهود مع دعوته، ورفضوه، كما رفضوا دعوته التوحيدية وحاربوه وحاولوا قتله.

وهكذا فإن مفهوم النبوة جاء في التوراة وفي اليهودية مشوهاً مشوشاً عن قصد وعن سابق إصرار.

ويظهر أن رحلة الحياة في العقيدة اليهودية، أولت اهتمامها الأكبر للدنيا دون الآخرة، فهي المنشأ، وهي الغاية. ومن كان سعيداً فيها فهو في جنة الخلد. ومن كان شقياً فقيراً فهو في الجحيم. ولا نعيم ولا جحيم إلا في هذه الدنيا. ولذلك نرى أصحاب اليهودية أكثر الناس حرصاً على الحياة الدنيا، لأن المخلوق ينتهي بالموت إلى عالم ضبابي معتم، فيه الشك والظن السلبي. ولأن العلاقة بين المخلوق والخالق علاقة مصلحة مادية، فلا اعتبار لعالم ما بعد الموت. ونادرة هي ملامح يوم البعث والقيامة. والحساب هو حساب الدنيا في غالبية الحالات. لا عمل يُثاب عليه البشر ولا عقاب.

وبعض الفرق اليهودية الضعيفة والمحدودة عدداً وتأثيراً، ترى أن مسيحاً منتظراً سوف يأتي إلى الأرض، ويقيم مملكة العدالة فيها، ويسحق مع أتباعه، كل الكفرة والمرتدين عن الشريعة. ولكن إلى أي مدى يقيم هذا المسيح العدل على الأرض؟ لا ندري المهم أنه يقيم العدل الألفي السعيد كما يدعون. ولكن ماذا بعد الألف السعيدة؟ لا أحد يدري. وكل ذلك غامض غير واضح في العقيدة اليهودية. وغير ثابت.

وتأكيداً على أساطير اخترعها اليهود والبروتستانت، فقد رأوا أن العالم سينتهي بحرب مدمرة، أطلقوا عليها اسم معركة هرمجدّون. ويكون فناء الكون نتيجة حتمية لها. فقط عندها ينتهي الكون وتنتهي البشرية. أما ماذا بعد ذلك فليس هناك أي وجود، وليس هناك أي مصير أخروي وليس هناك إله، وحساب وموازين.

وهذا الحس الأسطوري، يكاد يكون عين الحس الوجودي المادي الذي يرى كل شيء في هذا الكون، خارجاً عن نطاق الدائرة الكونية. وخارجاً عن

نطاق خالق مبـدع، فـالكون حسـب نظرهـم، تحكمـه قوانـين الطبيعـة الصمّـاء والصُّدف العمياء.

لقد فضح القرآن الكريم ادعاءات اليهود وتَقَوُّلاتِهم بشأن العلاقة مع الله. وفضح خفايا نفوسهم، وزيفَ ما يدَّعون، وحقيقة ما يسرون ويبطنون ويضمرون.

ولعل الأدهى من ذلك كله، اختراع أحبـار اليـهود لمـا يسـمى التلمـود، الذي فسر التوراة في المشنا والجمارا، تفسيرا حاخاميا، يُدرج المصلحة اليهودية فوق كل مصلحة، ولو كانت ربانية إلهية، ويصبح هذا التلمود أهم مـن التـوراة في المرجعية الحياتية والتشريعية، فـالعقيدة اليهوديـة تصبـح عقيـدة الأحبـار، وعقيدة التلمود، وليست عقيدة موسى ولا حتى عقيدة التوراة، على الرغم ممـا فيها من اختلاط بين الواقعية والأسطورة، وبين ما هو عقلي وما هو غير عقلي.

وتلعب الفلسفة دورها الخطير في تطوير العقيدة اليهودية منذ زمـن بعيـد. حتى يصبح مثلا موسى بن ميمون أهم بكثير مـن النـبي موسـى عليـه السـلام، ويصبح منظرو الفلسفة اليهودية أهم بكثير من أنبياء بـني إسـرائيل وتعاليمـهم. وذلك يؤكد أن اليهودية ليست عقيدة ترتبط بالسـماء بقـدر مـا ترتبـط بالفلسـفة الوضعية والتحولات المصلحية.

ومن هذا المنطلق جعلوا مفاهيم المثل والقيم مقلوبة المضمـون، محصـورة في الاتباع، تصبح الحرية بمفهومها، حرية الإنسان المطلقة، وتصبح الإرادة الفردية اليهودية مطلقة اليدين، الخطأ فيها صواب، والشر بعينيها خير، القدر بيدهـا والكون كله ملك لنوازعها. وهذا ما كشفه القرآن الكريم كشفا دقيقا واضحا. لقد أكد كتبة التوراة الحس العنصري والفوقيـة، وجعلـوا مـن تعـاليم هـذا الكتـاب أفكارا خاصة لاتباع اليهودية. لم يطرحوا في التوراة عقيـدة مفتوحـة للآخريـن، وكانت عقيدتهم قومية عنصرية، غير إنسانية وغير عالمية. اكتنفـت تطبيقاتـها الأسرار الغامضة، وسـيطرت عليـها. ومـا يـزال اتبـاع اليهوديـة يبثـون أفكـارا

تهديمية مخربة في كافة بقاع الدنيا، وذلك بسبب عدم قناعاتهم وعدائهم للعقيدة التوحيدية، والأنبياء جميعا. وبسبب قناعاتهم بأن العنصرية اليهودية فوق العقيدة، فقد رأوا في العقائد الأخرى خطرا عليهم فراحوا يبثون أفكار التهديم والتخريب في جميع المجتمعات. ودفعوا باتجاه إنشاء حركات دينية تارة تؤمن بالشيطان، وأخرى تؤمن بالإباحية الجنسية. والثالثة تؤمن بخرافات سحرية. إضافة إلى حركات الماسونية الهدامة واندية الروتاري والليونز والبوند والفرقة الداودية، وغير ذلك من الحركات الدينية التخريبية المدمرة المنتشرة في كافة أنحاء العالم.

لقد رصدت أجهزة الأمن الأمريكية اكثر من أربعمائة حركة دينية لها عقائدها ومعتقداتها في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها. إنها طبيعة أتباع اليهودية، التي صنعها أحبار اليهود، وفلاسفتهم، وطوروا في توراتهم وما يزالون يطورون، وكل ذلك حسب ما تقتضيه الظروف، وحسب ما تقتضيه المصلحة الخاصة لليهود.

ولهذا قسّمنا هذا الجزء إلى مقدمة وستة فصول وملحق. وذكرنا في المقدمة نبذة عن علم مقارنة الأديان، ودور الفرق الكلامية في تشعُّب مفهوم العقيدة. ثم وضعنا في السياق سؤالاً هل اليهودية عقيدة، وما هي سماتها ثم في ضوء ذلك تحدثنا عن مقارنة الأديان ومنهج مقارنة النص التوراتي بالنص القرآني ثم ما مدى إدخال الأساطير في العقيدة اليهودية من قبل بعض الأحبار اليهود.

وفي الفصل الأول: درسنا العقائد في التاريخ وسلّطنا الضوء على عقائد الشعوب القديمة التي عاشت في منطقة الوطن العربي وكذلك شعوب الهند والصين واليابان وعالم الشرق القديم. وتناولنا اليهودية من حيث منشؤها وبيئتها وموقعها بين العقيدة الوضعية والرسالة السماوية. وبيّنا أن اليهودية عقيدة منغلقة وليست عالمية بل هي عقيدة عنصرية.

وفي الفصل الثاني: تحدثنا عن العقيدة اليهودية ورحلة التصوّر اليهودي للإله. ثم تناولنا بالبحث مفهوم شعب الله المختار والإله القبلي المختار. وكذلك الإله التوراتي غير الثابت والضائع الهويّة. والإله المجسَّد وكذلك إله الذهب. ثم تناولنا مفهوم الإله المحارب عند التوراتيين، وكذلك الإشراك بالوحدانية لدى اليهود. ثم تناولنا تطور مفهوم الإله عندهم ومن ثم عند فلاسفتهم.

وفي الفصل الثالث: تناولنا مفهوم النبوة لدى اليهودية ومعالمها وسماتها. من خلال مفاهيم تتعلق بالإيمان بالأنبياء وحاجة الناس إليهم. وتناولنا بعض الأنبياء الذين اشتركت التوراة والقرآن الكريم في الحديث عنهم، وعن بعض الأنبياء الذين انفرد القرآن الكريم بالحديث عنهم وكذلك الأنبياء الذين انفردت التوراة بالحديث عنهم. ثم تحدثنا عن منهج الدعوة لدى الأنبياء جميعاً. وتحدثنا في هذا الفصل عن الأسرار التي تمنع اليهود من الاعتراف بنبوة المسيح عليه السلام ونبوة محمد صلى الله عيه وسلم.

أما الفصل الرابع: فقد تناولنا فيه عالم المخلوقات الخفيّة كالملائكة والجن وتحدثنا بإسهاب عن طبيعة هذه المخلوقات وكيف فهمها كل من المسلمين والتوراتيين.

وفي الفصل الخامس: تناولنا مفاهيم الموت والبعث والجنّة والنّار والحساب والعقاب وما إلى ذلك من مفاهيم.

وفي الفصل السادس: تحدثنا عن تطور العقيدة اليهودية عبر التاريخ ودور الأحبار والفلاسفة اليهود في هذا التطور. ثم تناولنا الفِرق اليهودية وكذلك المذاهب والصراعات التي حدثت وما تزال قائمة بينها. ثم تناولنا أفكار بعض الفلاسفة اليهود وكيف ساهموا في تطوير العقيدة اليهودية.

وألحقنا هذا كلّه برسالة لأحد الحاخامات الذين أبطلوا العقيدة اليهودية ورفضوها.

وتوضيحاً لمضمون القسم الثاني من الجزء الثاني كان لابد لنا من وضع استكمال مفصّل لما في الجزء الثاني من الكتاب.

فقد امتازت بعض الأمم والشعوب القديمة بوضع تشريعات وقوانين تنظم حياة الإنسان وارتباطه بالإله إن كان واحداً، أو بالآلهة إن كانت متعددة، وكذلك ارتباطاته بأخيه الإنسان، إن كان من أبناء شعبه أو أمته أو كان من أبناء الشعوب المغايرة.

ومنذ وجد الإنسان العاقل على هذا الكوكب، وجدت معه علاقات، أقامها مع الخالق ومع الإنسان، وهذه العلاقات هي على الأغلب علاقات ود ومحبة وخشية وخوف. وتعبيرا عن هذه العلاقة أوجد هذا الإنسان طقوسا حركية وقولية وسلوكية تشير إلى نفسه، بأن العلاقة تحتاج لتنفيذ رغبة معينة يريدها الخالق، إن كان خالقا متصوراً كما في العقائد الوثنية أو كان خالقا صمداً فرداً كما في العقائد التوحيدية.

ومن ذلك وجد ما يسمى العبادات، وهي الرابط المقدس بين الله والإنسان، والرابط المتصور بين الإنسان الوثني ومجموع الآلهة التي صنعها خياله، ثم عبدها إما لتكون زلفى وواسطة بينه وبين الخالق الأكبر، وإما أن تكون رمزا لهذا الخالق المحيّر العجيب.

وعندما أصبح جنس البشرية أفرادا يعدون بالآلاف والملايين، رأى الإنسان نفسه بحاجة إلى قوانين تنظم التعامل بين البشر في كافة شؤون الحياة المادية أو العقلية والنفسية أو الروحية. فوجد ما يسمى المعاملات، وأصبح من المسلم به أن هذه المعاملات تحتاج دوما لقوانين تتجدد كلما تعقّد التعامل بين البشر وكلما ازدادت المصالح اتساعاً وشمولاً وعمقاً.

ومن هنا يفرض علينا البحث أن نوضح في الصفحات الأولى معنى العبادات ومعنى المعاملات كما فهمها الإنسان التوحيدي أيضاً. فلكل منهما أسبابه وأهدافه وغاياته ولكل منهما علاقاته المختلفة باختلاف الارتباط بينه وبين المعبود.

فالصلاة عبادة مثلاً، وقد وجدت صلوات لدى غالبية الشعوب موحِّدها ووثنيها، وهي بشكل عام صلة بين الإنسان وبين القوة الخالقة. وهي إما حركات ذات طقوس محددة، وإما كلام يتوجه به المرء لخالقه وقد اختلفت هذه الصلاة من أمة لأمة ومن عقيدة لعقيدة.

فالصلاة عند الشعوب الوثنية صنعها الكهنة وكبار رجال الدين وأوجدوا لها طقوسا حركية وكلامية، واتبعهم فيها عامة الناس، وقد أضفوا عليها من تصوراتهم كثيرا من الأساطير والقداسة حتى تكون مقبولة لدى اتباعهم.

أما في العقائد التوحيدية فقد كان العكس تماما، فقد فرضها الله على الموحدين أي أنها لم تكن إرادة ورغبة بشرية بل هي إرادة إلهية وقد أوحى الله سبحانه إلى مبلّغ الرسالة أي النبي والرسول بأن هذه الصلاة تكون على الشكل كذا حركة وقولا. وإذا نظرنا إلى الصلاة مثلا في العقيدة الإسلامية وجدنا أن كل حركة فيها وكل قول يقال أثناءها له غايته وله مبرراته العقيدية. وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوضح ذلك من تعليمه للصحابة وسلوكه التعبدي أمامهم.

وكذلك الصوم فهو عبادة، والصوم الامتناع. وقد اتخذ طرقا عدة، منها الصوم عن الطعام. والصوم عن الكلام. والصوم عن السلوك الحركي الذي يتنافى مع التعبد والأخلاق الحميدة والمعاملات الحسنة مع الناس.

وإذا دخلنا التفاصيل وجدنا أن العقائد بشكل عام حفلت بالصوم، فمن العقائد ما يفرض على المتعبد صوماً عن كل ما ينتجه الحيوان من دهن أو لحم

أو بيض أو حليب إلخ... ومنها ما يفرض على المتعبد الالتزام بكلام محمود أو بإيماء دون كلام أو ما شابه ذلك. ومنها ما يفرض على المتعبد صوماً عن الأكل والشرب والكلام الفاحش المضر والسلوك الشائن غير الأخلاقي وغير المسؤول وبذلك يصبح الصوم عبادةً كليةً خاصةً لها ميزات قد تختلف عن مجمل العبادات ولذلك يقول معنى الحديث القدسي عن الله سبحانه. الصوم لي وأنا أجزي عليه، وقد يرتبط الصوم بحدث وزمن أو بمأساة أو مسرة فيكون تطوعا من الفرد لأن فيه تحقيق وعد ووفاء لمن قطع على نفسه من عهود. أو أن يكون تضرعا طمعا في إبعاد مصيبة أو حلول مسرة أو رفع شدة.

وكذلك الجهاد في سبيل الله، فهو يأخذ في العقائد التوحيدية معنى شموليا يحوي الذود عن الحرمات والمقدسات والأوطان ويحوي مجاهدة النفس، وعدم إطلاق العنان للشهوات المضرة للفرد والمجموع. ويصبح هذا الجهاد عبادة عندما يفرضه الخالق على عباده وذلك لأسباب وأهداف وغايات. وعندما يدرك المؤمن ويوقن بأن الجهاد فرض إلهي له أسبابه الواضحة وأهدافه المعلنة وغاياته، فإنه ينفذ هذه العبادة دون أي اعتبار للنتائج على مستوى "الأنا" المختبئة خلف الشخصية.

وإذا ما نظرنا بشكل دقيق لمعنى العبادة على المستوى الشمولي نرى أن هناك أسساً واضحةً لها، وآفاقاً تتسع لتشمل جميع أعمال المرء. فكل عمل يُراد به وجه الله عباده وكل عمل يُقصد من ورائه منفعة البشر عبادة. ولعل هذا الربط بين عمل الخير والعبادة هو ربط كلي يقصد به إعمار الكون لا خرابه وإصلاح حال الدنيا والناس لا إفسادهما. ومن ثم خلق يقين عند المرء بأن كل عمل خير هو خير له وللمجموع. خير له في دنياه وآخرته. وبالمحصلة فالعبادة مجموعة قوانين تضبط العقل والنفس والروح وتوجه الوجدان والفكر والجسد نحو الخالق، فتنعكس سلوكاً وتعاملاً في كافة شؤون الدنيا من علاقات مع